مذكور فى بعض التواريخ انه لما كان القصر حديث البناء وجديداً ، والأفيال التى كان قد أحضرها السلطان تغلقشاه من البنغال تجرى حول القصر ، لذا هبطت أرض القصر ، وسقط السقف ولم يكن خافيا على ضمائر أرباب البصيرة أنه لم يكن ضروريا أبدا بناء هذا القصر ، وان الغ خان كان يقصد ما حدث لأبيه ، والظاهر هو أن صاحب تاريخ فيروزشاهى ، عندما صنف فى عصره السلطان فيروز قد أهمل ذكر ذلك لأن السلطان محمد كان مفرطا فى حب السلطان فيروز ، وقد سمعت انا (٣٥٤) هذا المعنى تكرارا من الثقاة ٠ والمشهور هو أنه لما كان السلطان تغلق يستاء من خدمة الشيخ نظام الدين أولياء فقد أرسل الى الشيخ رسالة أنه عندما أدخل دهلى يخرج الشيخ منها ، قال الشيخ « لم تزل دهلى بعيدة » ، شاع هذا اللفظ بين أهل الهند ومثلا ، والمشهور هو أن السلطان محمد تغلق كان مريدا للشيخ ، ومعتقدا فيه ، والعلم عند الله ، وفى نفس هذه السنة أيضا انتقل الشيخ نظام الدين قدس سره وأمير خسرو من ضيق الجسد الى العالم الروحانى ٠

ذكر السلطان محمد تغلقشاه :

كان خلف صدق وولىعهد السلطان غياث الدين تغلق ، استقر على عرش السلطنة بعد وفاة الأب ، وتوقف هناك أربعين يوما من أجل اصلاح أمر المملكة وترتيب أمور الحكم واختيار الساعة (٣٥٥) بعد ذلك جلس فى « دولت خانة » القديم بالرسم المعهود على عرش سلاطين السلف ، وتلقب بالسلطان محمد شاه ، ودقوا طبول الفرح فى المدينة ، وعقدوا الأفراح ، وزينوا الأسواق والحارات ، وعند دخول المدينة ، كان هذا القدر من الفضة والذهب والتنكة التى نثرت على جتر لم تحدث فى أى عصر قط وكان السلطان محمد من عجائب الخلق وجامعا للاشداء ، اراد فترة أن يكون مثل الاسكندر ويسخر الأقاليم السبعة ، وأحيانا عقد العزم على الا يخرج الجن والانس عن دائرة اطاعته ، وأحيانا كان يتمنى أن يجمع السلطنة بالنبوة ، وينفذ بنفسه الأحكام الشرعية والملكية ، وكان يلتزم التزاما تاما بأداء الصلاة والصوم ، وقيام النوافل والمستحبات والاشتغال بالأوراد ، وكان يسعى سعيا جادا فى اجتناب المناهى والمسكرات وسائر ما يسمى معصية ، وبلغ فى القهر والقتل واراقة الدماء البريئة ، وتشديد وتعذيب عبيد الله درجة أن خلت الدنيا من خلق الله ، وبلغ سخاؤه درجة الى أن خلت الخزائن فى طرفة العين ،

---

(٣٥٤) نظام الدين احمد مؤلف طبقات اكبرى ٠

(٣٥٥) ساعة الحظ المناسبة ٠

وكان الغني والفقير والغريب والمعروف فينظره سيان وعندما أعطى السلطان بهادر سناركامى ملكه سمح له بالسفر ، وأنعم بما كان فى خزائنه من نقد عليه ، وكان يهب ملك غزنين عشرة ملايين تنكه سنويا ، ويهب قاضى غزنين نفس القدر أيضا كى لا يضيق على أحد ، وملك سنجريد بدخشانى ثمانية ملايين تنكه ، وملك عماد الدين سبعة ملايين تنكه ، وسيد عضد أربعة ملايين تنكه ، وعلى هذا القياس لم تقل انعاماته عن لكه (٣٥٦) وواضح أن المراد من هذه التنكه ، تنكه فضة لأن « باره » (٣٥٧) نحاس وتعادل ثمانى تنكات ، وكل من ذهب الى بلاطه من الأفاضل وأهل الأدب يجد أنواع الرعاية والانعام ، وكل من لاذ ببلاطه من خراسان والعراق وما وراء النهر وسائر أطراف العالم نال هذا القدر من الاحسان لكى يأمن ذل الحاجة حتى آخر العمر ، ولم يوجد مثله في اختراع ضوابط الحكم واصابة الرأى ، وكان يحكم على الفور بالبديهة ومعرفة محاسنه ورذائله لما كان يتمتع به من فراسة صادقة ، وحدة قوية ، وكان يعلم ما فى ضمير الشخص قبل أن يتكلم ، وكان له لطافة فى البيان وانشاء العبارات واختراع المضامين وضرب المثل ، ولديه موهبة مناسبة فى النظم والنثر ، وماهرا فى علم التاريخ ، وكان مغرما بعلوم الحكمة والمعقولات ، وكان فى صحبته سعد منطقى وعبيد شاعر ومولانا علم الدين وكانوا من علماء الفلسفة ، ولا يهتمون بظاهر الشريعة ، ومن كثرة مصاحبتهم وممارستهم للعقليات استقر فى خاطره أن الحق منحصر فى العقلانية ، وكان يقبل من النقليات ما يوافق العقليات ، ولم يكن يقبل النقليات الصرفة ، ومع هذا الحال كان مطيعا ومعتقدا فى الخليفة العباسى ، ويدرك انه حرام الحكم دون موافقته وأذنه ، وكان يبالغ فى تعظيم وتوفير رسلهم ، ويذهب فى استقبال سفارتهم مترجلا ٠

وسعى فى تسخير البلاد وضبط الممالك الى أن استولى على الكجرات ومالوه وديوكير وتلنك ، وكنبله ودهورسمند ومعبر وترهت ولكهنوتى وستكام (٣٥٨) سناركام (٣٥٩) فى أقل مدة ، وكان خراج ومجمل الدخل لهذه الولايات مثل قصبات بين الدواب ، تصل الى دهلى ، ووصل استقامة الولاة والعمال الى درجة أنه لم يكن لأحد قط من المقدمين أو المتمردين فى هذه النواحى مقدرة ، أن يخفى أحدهم درهما واحدا

---

(٣٥٦) لك ، لكه : عشرة آلاف ٠

(٣٥٧) باره « أ » ص ١٠٠ ٠

(٣٥٨) وستكام « أ » ص ١٠٠ ٠

(٣٥٩) سناركا م «أ» ص ١٠٠ ٠

من مال الديوان أو يتمرد ، وعقد جميع رايان وزميندران المالك العقد على خدمته . وكانوا يأتون الى البلاط دائما ، وهذا القدر من الأموال التى تأتى من أطراف المالك لم يكن يظهر منها شىء فى الخزانة بسبب الافراط فى البذل وكثرة هبات السلطان محمد :

« اعطى ملك الدنيا من هذا الكنز ، كثيرا من الجوهر والفضة والذهب لكل شخص »

« اعطى لماليكه وحشمه أيضا والدرويش »

« الى درجة انه لم يبق فى هذا الكنز جوهر ، ووجد الأجر بالعطاء والانعام » .

ومن كثرة ما لديه من سليقة مخترعة ، كان يريد أن يحدث احكاما جديدة يخترعها ، ونسخ الأحكام السابقة للحكام التى كانوا قد وضعوها بآراء صائبة ، وكان يخترع يوما حكما خاصا وقاعدة جديدة ، وكان يصدر الفرمانات باسم العمال وولاة المالك ، لينفذوا أحكامه ، ولما كانت احكامه تخالف ما اقره سلاطين السلف وطرق العقل فان ذلك كان موجبا للنفور العام ، وكان عماله يعجزون عن تنفيذها ، وكلما وجدوا نفورا عاما ، اهملوا تنفيذها فكانوا يعاقبون بعقوبات مختلفة ، واذا نفذوها فان عامة الناس سيقتلون ، ووجد الفساد العام طريقه فى أمر المملكة ، ووضع فى الجملة عدة قواعد ستذكر بالتفصيل ، حتى عجز الناس ، فقتل جماعة لعدم استطاعتهم ، وتمردت جماعة كانت لديها القوة ، ولوت عنان الخلاف ، ولما كان السلطان محمد سيء الطبع حاد المزاج وكان فى طبعه قتل الناس ، فلم يكن يتأنى أو يتوقف عن قتل الخلائق ، وبسبب عدم تنفيذ احكامه فان خلقا كثيرين قد قتلوا بسيفه ، وخلت البلاد من خلق الله حتى وصل الأمر الى درجة خرجت أكثر المالك من تحت سيطرته ، بل شاع العصيان والتمرد ايضا فى دهلى العاصمة ، وانقطع مجيء الخراج من الأطراف ، وخلت الخزائن ، وكان رفاقه أمثال زين الدين ومخلص الملك ويوسف بغرا (٣٦٠) وايوراجا وابن قاضى الكجرات يسعون دائما فى قتل واعدام خلق الله .

من جملة القواعد الهزيلة والأفكار الخاطئة ، احداها أنه كان قد قرر أن يدفع خراج جميع ولاية ما بين « دوآب » مرة واحدة ، وأبدى تشددا فى هذا الأمر ، وكان هذا باعثا لاستئصال البرايا وتمرد الرعايا ، وتعطل أمر الزراعة ، ووقع امساك للأمطار أيضا ، وحدث قحط

---

(٣٦٠) يوسف بقراط « أ » ص ١٠١ .

عظيم فى دهلى ، لدرجة أن خربت اكثر المنازل ، واختل المجتمع ، وحدث تزلزل كامل فى أمر الملك ، ومن أفكاره الأخرى أنه أعتقد أن ديوكير وكانت وسط الممالك ، أسماها دولت آباد واتخذها دارا للملك ومن أجل هذا هجر دهلى التى كانت تماثل بغداد ، وأمر سكانها الذين كانوا قد اعتادوا ماءها وهواءها بأن ينتقلوا بأهليهم وزوجاتهم ويذهبوا الى ديوكير ، وأعطى كل واحد نفقة الطريق وثمن المنزل من الخزانة ، وصرف مبالغ كثيرة فى هذا الأمر ، وأكثر الأهالى الذين سافروا لم يتمكنوا من الوصول الى ديوكير ، والجماعة التى استطاعت أن تصل لم تستطع أن تبقى وحدث تغيير وتبديل بأحوال الناس ، وحدثت زعزعة كبيرة فى أمـــر الملك ، وكان آخرون يريدون أن يستولى على الربع المسكون (٣٦١) ولكن حشمه وجيشه لم يف بهذه الرغبة ، ومن أجل تنفيذ هذه الرغبة ظهرت عملة نحاسية ، وأمر أن يكون للنحاس مثل الذهب والفضة فى الوزن بدار الضرب وازدهرت العملة النحاسية على نظام التنكة الذهبية والفضية واستعملوها فى البيع والشراء وأحضر الهنود من الممالك مبالغ نحاسية الى دار الضرب ، وسكوها ، وقد بلغت « لكها وكرورها »(٣٦٢) واشتروا الامتعة والأسلحة، وكانوا يرسلونها الى الاطراف وكانوا يبيعونها بالتنكة الفضية والذهبية وسك كل شخص الذهب الغالى فى منازلهم ، وكان يبيعها فى السوق ، وبعد فترة انتشر هذا الأمر فى الأماكن البعيدة ، وكان الأهالى هناك يشترون التنكه النحاسية بدلا من النحاس العادى وأحضروها الى المكان الذى ينفذ فيه هذا الحكم ، واشتروا التنكه الذهبية والفضية ، وبالتدريج كثرت التنكة النحاسية وصارت لها قيمة وصارت التنكة الذهبية والفضية أغلى سعرا من السابق وزادت عن نظام البيع والشراء .

« هذا الذهب الذى صار عياره مثل النحاس ، بسعر النحاس صار فى كل البلاد »

عندما رأى السلطان محمد أن هذا الحكم لا ينفذ ، ولا يستطيع أن يقتل كل الخلق ، فأمر أن يدع كل شخص لديه تنكة نحاسية ، الخزانة ، ويأخذون بدلا منها « مهر » (٣٦٣) القديم وأى تنكة ذهب وفضة ، على أمل أنه ربما تتحسن التنكة النحاسية ، وتروج فى المعاملات ، وكان قد جمع التنكة النحاسية من منازل الناس وأفقدها قيمتها ، وأودعها

(٣٦١) الربع المسكون : اليابسة .
(٣٦٢) كرور عشرة ملايين .
(٣٦٣) نوع من العملة الذهبية .

الخزانة ، وعوضهم بالتنكة الذهبية والفضية ، وكثرت العملة النحاسية ، وخلت الخزائن تماما ، ولهذا السبب حدث فتور عام فى أمر المملكة ٠

وكان من أفكاره الباطلة أنه فكر أن يسخر خراسان والعراق ، وبناء على هذا أخذ فى انفاق الخزائن على الرجال الذين قدموا اليه من هذه الديار لتأليف قلوبهم ، وجمع جيشا كبيرا ، وحدد لهم مقدار ثلاثمائة وسبعين ألف فارس من الخزانة ، وفى السنة الأولى وصلهم الانعام ، وفى السنة الثانية لم تحن الفرصة ، لكى يأمر هذا الجيش بتجديد تسخير الولاية ، ولما لم تقع بيده غنائم حتى يقدم لهذا الجيش الزاد ويرضيهم ، فقد كان قد أنفق فى خزانة دهلى كلها فى السنة الأولى ، وتفرق جميع الجنود ولم يستقم أمرهم ، وكان هذا تفرقة أخرى جرت فى خزائن ملكه ، ومن أفكاره الفاسدة الأخرى ، هى أنه أراد أن يستولى على جبل هماجل (٣٦٤) الذى يقع حائلا بين ممالك الهند وبلاد الصين ، وأرسل لهذا الغرض الأمراء المشاهير ، والقواد المحنكين على جيوش جراره ، لكى يدخلوا هذا الجبل ويسعون فى الاستيلاء عليه ، وعندما دخل الجيش كله الجبل حصن الهنادكة ممرات الجبل ، وسدوا طريق عودة الجيش ، وقتلوا أكثرهم ، والعدد القليل الذى عاد سالما قتله السلطان محمد ٠

ولما كان السلطان محمد يصدر منه أحكاما شاقة وتكليفات صعبة كل يوم ، وكان الناس يعجزون عن تحملها ، لذا ابتعد أمر الملك عن الانتظام والالتئام ، وتولدت الفتن فى كل ناحية ، والفتنة الأولى كانت بغى بهرام أبيه فى الملتان ، وعندما سمع السلطان محمد بخبر تمرده وهو فى ديوكير ، أسرع بقدر ما يستطيع الى دهلى ، ومن هناك أعد الجيش وتوجه الى الملتان ، وقابله بهرام ، وقتله (٣٦٥) فى القتال :

« اذا خرجت على ولى النعمـــة ، فربمـــا ينقلب الفـــلك »

وأحضروا رأسه عند السلطان ، وخمدت الفتنة ، وأراد السلطان محمد أن يقتل أهالى الملتان الذين كانوا قد وافقوا بهرام أبيه ، فتشفع شيخ الاسلام الشيخ ركن الدين قدس سره العـزيز للمـذنبين ، وقبـل السلطان ، وعاد الى دهلى منتصرا وظافرا ، ولما كان أهالى الأطراف الذين أجبروا على سكن ديوكير قد تفرقوا ، وصارت ديوكير خربة ، فقد توقف السلطـان فى دهلى ، ولم يذهب الى ديوكير ، وفى هـذه

---

(٣٧٤) هيمالايا ٠

(٣٦٥) قتل السلطان محمد بهرام ابيه ٠

الأيام خربت ولاية ما بين النهرين (٣٦٦) من شدة المطالب وارتفاع الخراج ، ولهذا أحرق أكثر الرعايا محاصيلهم وفروا بمواشيهم ، وتشتتوا ، وأصدر السلطان فرمانا أن يقتلوا كل من يجدوه ، وينتهبوا هذه الولاية ، وكان العمال والولاة هناك يقتلون الخلق بموجب الفرمان ، وينتهبوهم ، ودخل كل من بقى حيا فى الغابة واختفى :

« ضاقت البلاد كلها من الظلم ومن البوم »

فى نفس هذه الأيام توجه السلطان الى « برن » للصيد ، ونهب ولاية برن كلها ، وأطاح بالسيف من كان فيها ، وأمر أن يعلقوا الرؤوس على مسننات قلعة برن ٠

وفتنة أخرى وهى أن فخرا المسمى باسم ملك فخر الدين قد تمرد بعد وفاة بهرام خان فى البنغال ، وقتل قدرخان ، وانتهب خزائن لكهنوتى، واستولى على لكهنوتى وسناركام وستكام (٣٦٧) وكان السلطان أثناء ذلك مشغولا بنهب ما حول قنوج ، ونهب من قنوج حتى ولاية هموهمه (٣٦٨) وقتل الناس أفواجا ، ولم يكد يكف عن النهب والسلب حتى علم أن حسن والد ابراهيم خريطة دار قد بغى فى معبر (٣٦٩) وقتل الأمراء ، واستولى على هذه الولاية ، وجاء السلطان الى المدينة (٣٧٠) وقبض على ابراهيم خريطة دار وأقرباء سيد حسن ، وسجنهم ، وأعد الجيش ، وتوجه الى معبر وعندما وصل الى ديوكير ، فرض مطالب ظالمة على عمال وأمراء وحكام هناك ، حتى ضاق أكثرهم من شدة المطالبات ، وفرض خراج عمال أيضا فى ولاية مرهت ، وعين المحصلين القساة الظلمة ، وبعد ذلك أرسل أحمد اياز الى دهلى ، وتوجه الى تلنك ، وعندما وصل الى ارنكل ، كان هناك وباء أصاب أكثر الناس بالمرض ، وتوفى كثير من الأمراء المشاهير، ومرض السلطان محمد أيضا فترك ملك قبول نائب وزير الملك هناك ، وفوضه على ولاية تلنك ، وعاد الى جانب ديوكير ، وعندما وصلها ، ظل عدة أيام للعلاج ، ولقب شهاب سلطانى بنصرت خان ، وسلمه ولاية بدر ، وأقطعه اقطاعات هذه النواحى وعشرة ملايين تنكة ، وفوض قتلق خان على ولاية مرهت وعاد الى دهلى وهو لم يزل مريضا ٠

---

(٣٦٦) ما بين النهرين السند والكنك ٠

(٣٦٧) سناركام وستكام « ك » ص ٢٠٥ ٠

(٣٦٨) ولاية هيمو « ا » ص ١٠٣ ٠

(٣٦٩) تغر « ا » ص ١٠٣ ٠

(٣٧٠) دهلى ٠

وكان قد أصدر فرمانا من قبل أنه من أراد أن يعود الى دهلى من أهلها من ديوكير فليعد ، واذا ارتاح فى ديوكير يبقى هناك ، وعاد أكثر الناس من ديوكير بمرافقة السلطان الى دهلى ، وفضل البعض ولاية مرهت ، وأقام السلطان هناك عدة أيام وتوجه من هناك ورأى فى الطريق المتجه الى دهلى فى ولاية مالوه خربة بسبب القحط ، وكان يابكان الذين كانوا فى طريق البريد مستعدين جميعا وهناك آثار معمارية فى هذه النواحى ، وعندما وصل الى دهلى رأى دهلى خربة ، ووصل القحط الى درجة أن « سيرى » (٣٧١) من الغلة لم يجدوه بسبع عشرة درهما ، وهلك اكثر الناس ، ونفقت المواشي أيضا لعدم وجود علف :

« عندما حل القحط سنة ما فى دمشق ، كان بسبب أن المحبين نسوا العشق »

«« وهكذا بخلت السماء على الأرض ، لأنهم لم يزرعوا الزرع والنخيل ».

وبعد أن رأى السلطان الخراب اهتم بتعمير البلاد وتكثير الزراعة، واعطى للناس مالا من الخزانة واهتم بأمر الزراعة ، ولما كان الناس مضطرين من كثرة الخراب فكانوا ينفقون جزءاً منها على هيئة تقاوى وماكولات وجزءاً آخر كانوا يصرفونه على الزراعة ، ولكن بسبب امساك الأمطار التى حدثت فى هذه الأيام ، لم تفد ، وقتل أكثر الناس عقابا لهم ٠

فى أثناء ذلك رفع شاهو أفغان لواء المخالفة ، وقتل بهزاد (٣٧٢) نائب الملتان ، وفر ملك بهوره من الملتان ، وجاء الى دهلى ، وتوجه السلطان محمد من دهلى الى الملتان بجيش مسلح ، ولم يكد يتقدم منزل حتى التحقت والدته ملكة جهان التى كانت نظام وجامعة شمل أسرة السلطان تغلقشاه برحمة الله ، وحزن السلطان ، وأمر أن يقدموا الطعام والصدقات فى المدينة على روحها ، وأسرع الى الملتان ، وعندما اقترب منها ارسل شاهو رسالة اليه مظهرا الندم ، وعاد وترك الملتان وتوجه الى افغانستان ، وعاد السلطان الى دهلى ، ووصل القحط فى دهلى الى درجة أن اكل الانسان لحم بنى آدم ، وبذل السلطان من جديد جهدا فى مجال الزراعة ، وأعطى الناس الذهب من الخزانة ، وأمر أن يحفروا الآبار ويهتموا بالزراعة ، وكان ينسب الاهمال والتقصير للناس ويقتلهم ، فى هذا الحين كانت طائفة منداهران (٣٧٣) وجوهانان

(٣٧١) مكيـال ٠

(٣٧٢) بهنواد « ١ » ص ١٠٣ ٠

(٣٧٣) منداران « ١ » ص ١٠٤ ٠

ـ وبهتيان (٣٧٤) وميانه الذين كانوا فى ولاية سـنام وسـامانة يشرعون فى التمرد ، وأقاموا فى الغابات العظيمة منـازلهم ، ومـلأوا الخزانات بالمياه ، وأقاموا قلعة حصينة واجتمعوا ، وسلكوا طريق التمرد والعصيان ، ونهبوا الأموال ، وقطعوا الطريق ، وقاد السلطان الجيش لدفعهم ، وهدم قلعتهم المسماة باصطلاحهم « مندل » والحق بهم الضرر ، وأحضر قوادهم معه وأعطاهم مكانا فى المدينة ، ودخل أكثرهم فى سلك الامراء ، وقضى على شرهم فى تلك الديار ٠

فى نفس هذه الفترة ، طغى كنيابايك (٣٧٥) الذى كان فى نواحى ارنكل بالاتفاق مع زمينداران هذه البلاد ، وفر ملك مقبول نائب وجاء الى دهلى ، وسقطت ارنكل فى يد الهنادكة ، وخرجت من تحت سيطرة السلطان ، وفى هذا المكان كان السلطان محمد قد ارسل شخصا من أقارب راجه كنبله اليها ، وقد أعلن البغى وارتد عن الاسلام ، وخرجت أيضا من يد السلطان ولم يبق له سيطرة على الممالك البعيدة ، والكجرات ديوكير ، وحدثت فى كل ناحية الفتن والفساد ، واضطرب السلطان من هذا الأمر اكثر وامر بتقتيل الخلق ، وزاد نفور الناس عند استماع خبر القتل ، وكان سببا فى زيادة الفتنة والحوادث ، وسعى فى تكثير الزراعة وتعمير المملكة ولكن لم يات بفائدة بسبب امساك الأمطـار ، وأخيرا اضطر الى أن يصدر أمرا أن يفتحوا أبواب المدينة وأن يدعوا الناس الذين ظلوا فى المدينة مكرهين بأن يذهبوا أينما شاءوا ، وتوجه اكثر الناس فى هذه الأيام بأولادهم واتباعهم الى البنغال ، وخرج السلطان من المدينة ، ومر من بتيالى وكنبله واختار الاقامة على شاطىء نهر الجانج ، وامر أن يتجمع الناس هناك ويسكنوا ، وأسموا هذا المكان « سركدوارى » ووصلت الغلة هناك من كره وأوده ، وظهر الهدوء على المدينة ، وكان عين المالك حاكم اقطاع أوده وظفر آباد مع اخوته يرسلون دائما الغلة والأقمشة وسائر ما يحتاج اليه فى سركدوارى ، وارسل خلال هذه المدة التى اقام فيها السلطان محمد فىسركدوارى من النقد والغلة ما يساوى ثمنية ملايين تنكة ، مما جعل السلطان يعتقد فيه ويثق ثقة كاملة فى حسن كفاءته ٠

وفى هذه الفترة التى كان السلطان فى سركدوارى حدثت أربع فتن ، وخمدت بسرعة ، وأول فتنة ظهرت هى فتنة نظام ما بين (٣٧٦) فى

---

(٣٧٤) بهمان « ١ » ص ١٠٤ ٠

(٣٧٥) كنبا بايك « ١ » ص ١٠٤ ٠

(٣٧٦) نظام الدين باين « ١ » ص ١٠٤ ٠

كرد ، ونظام مابين هـذا كان رجلا ثرثارا عديم الفائدة ليس لديـه استعداد ، وبسبب عدم استطاعته أن يحافظ على المقاطعة ، تمرد ، وأخذ « جتر » ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، فاهتم السلطان محمد بدفعه ، وأرسل عين الملك واخوته لمهاجمته وأسره ، وسلخ جلده وأرسل رأسه الى السلطان ، وسلم اقطاعه لشيخ زاده بسطامى الذى كان زوجا لأخت السلطان محمد ، وعهد اليه بقتل الجماعة التى كانت فى هذه الفتنة شركاء لنظام ما بين ، فأخمد هذه الفتنة ، والفتنة الأخرى هى فتنة شهاب سلطانى الملقب بنصرت خان ، فلما كان قد أقطعه ولاية بدر كلها بعشرة ملايين تنكة ، ولم يكن يستطيع أن يف بها ، فبغى ، وتحصن فى قلعة بدر ، وعين قلتقخان من ديوكير ، وأرسل أمراء آخرين من دهلى أيضا لمساعدته ، وحاصر قتلقخان قلعة بدر ، وأنزله من القلعة بالاقناع وأرسله الى السلطان ، وسكنت هذه الفتنة ، ولم يكد يمر شهر على هذه الحادثة حتى قام على شاه ابن أخت ظفرخان وكان أميرا لمائة ، وذهب للتحصيل من ديوكير وعندما رأى هذه النواحى خـالية من العمال ،جمع اخوته ، وقتل بهرف حاكم كلبركه غدرا ، وسلب أمواله ، وتوجه الى ولاية بدر ، وقتل نائبها أيضا ، واستولى على هذه الولاية ، وعين السلطان محمد قتلقخان لدفعه ، وأمر أيضـا بأن يرافـق قتلقخان (٣٧٧) بعض أمراء دهلى وجيش دهار ، واستقبل على شاه قتلتخان ، وقاتله ، وهزمه ، وتحصن فى قلعة بدر ، واقنعه قتلقخان وأخرجه من القلعة مع اخوته ، وأرسلهم الى السلطـان محمد فى سركدوارى ، فأرسل السلطان على شاه واخوته الى غزنين ، وعندما عادوا من غزنين قتل أخويه ·

بعد ذلك أراد السلطان محمد أن يسلم مهام ديوكير لعين الملـك ويستدعى قتلقخان منها ، وقبل هذا كان قد نفذ حكم الاعدام فى جماعة من الكتاب (٣٧٨) فى دهلى متهما اياهم بالخيانة وبسبب ارتفاع أسعار الغلال خرج من دهلى وتوجه الى أوده وظفر اباد ، والقى بنفسه تحت رحمة عين الملك واخوته ، وقد كان هذا الأمر يقلق السلطان ، ولكن لم ير مصلحة فى اظهاره ، وعندما علم عين الملـك بانحـراف مزاج السلطان ، خاف ، ومن اجل هذا أمر أن يتوجه الى ديوكير ، وأن يذهب معه الى ديوكير خيوله وأتباعه ، وحمل هذا الأمر على أنه خدعة ومكر من السلطان ، وفكر فى أمره ، واستدعى عين الملك بموجب أمر السلطان الجيش واخوته من أوده وظفر آباد ، ولم يكد جيشه يسير فى الطريق

---

(٣٧٧) قتلقخان أو قتلغخان ·

(٣٧٨) من المحتمل أن تكون « وقائع نويسندكان » كتاب الوقائع ·

حتى خرج عين الملك ذات ليلة من سركدوارى (٣٧٩) والتحق بجيشه ، ورفع لواء المعارضة ، والتف اخوته بأربعة آلاف فارس نواحى سركدوارى ، واستولوا على افيال وجياد السلطان التى كانت ترعى في الصحراء أمام معسكره ، واستدعى السلطان بسبب اضطرابه جيش سامانه وأمروهه وبرن وكول ، ووصل احمد أياز أيضا بجيش دهلى اليه وأعد السلطان الجيش ، وتوجه صوب قنوج ، وأقام المعسكر فى نواحيها ، وقاد عين الملك واخوته أيضا الجيش فى مواجهة السلطان ٠

« زمجرة الأفيال الضخمة ، حطمت الأسود الضارية »

« الأب يرفع عن ابنه الحقد ، وصارت المحاباة دوما »

وعبروا من معبر بانكر على الجانج ، وحاربوا ، وهزموا ، وأسر عين الملك وقتلوا أخويه ، وصار جزءا من جيشه علفا للسيف ، ومن بقى من السيف غرق فى نهر الجانج ، والجماعة التى خرجت من نهر الجانج، سقطت فى مآسى الهنادكة ، وقتلوهم هناك ، وعندما احضروا عين الملك عند السلطان فأمر الا يصيبوه بأى أذى ، فقد كان أهله كذلك ، وطلب من عين‌الملك التقدم ، ولاطفه وخلع عليه الخلع ، وأحال اليه أعمالا كبيرة ، وأنعم على أولاده وسائر رجاله وأهله ٠

وتوجه السطان من بانكومئو (٣٨٠) الى بهرائج ، وزار سيهسالار مسعود شهيد الذى كان قريبا للسلطان محمد الغزنوى ، وتصدق على المجاورين لهذه الروضة العظيمة والفقراء الذين كانوا هناك بمبالغ كثيرة ، وارسل احمد أياز (٣٨١) الى بهرائج ، ليقطع طريق لكهنوتى ، ولا يدع الفارين من جيش عين‌الملك أن يذهبوا الى لكهنوتى ، وارسل الأهالى الآخرين الذين كانوا قد فروا وأقاموا فى أوده وظفر آباد بسبب القحط أو خوفا من عقاب السلطان الى أوطانهم ، وعاد السلطان من بهرائج الى دهلى ،وكان أحمد اياز قد انتهى أيضا من المهمة الموكولة اليه ووصل الى خدمته ٠

ولما كان قد تمكن فى خاطر السلطان انه لا يجوز الحكم بدون اذن الخليفة العباسى ، وأن ارتكاب هذا حرام ، وظل يتتبع مقام الخلفاء العباسيين حتى سمع أن فى مصر خليفة من آل عباس متمكن من عرش

---

(٣٧٩) وردت سركدوارى وسر كدوارى ٠

(٣٨٠) بلنكر مئو أو بانكر مؤ ٠

(٣٨١) احمد أيار « أ » ص ١٠٦ ٠

الخلافة ، وباتفاق كمال الملك بايع هذا الخليفة غيابيا ، واخذ يرسل الرسائل الى الخليفة شهرين او ثلاثة ، ويكتب في كل مجال للكتابه ، وكان يذكر فى هذه الرسائل بيعته واطاعته ، وأعلن في المدينة بأن يوقفوا صلاة الجمعة والعيد ، وان يثبتوا اسم الخليفة على السكة محــل اسمه ، حتىسنة ٦٤٤ جاء حاجي سعيد صرصرى من مصر الي دهلى ، واحضر من الخليفة منشور الحكومة وخلعة للسلطان ، وذهب السلطان مع جميع الأمراء والعلماء والمشايخ لاستقباله ، وعندما اقترب ، ترجل ووضع منشور الخليفة على راسه ، وقبل قدم سعيد صرصرى ، وقدم كل التواضع ،وسار مترجلا خلف رسول الخليفة وأمر ان يقيمــوا الافراح ، ونشروا الذهب على منشور الخليفة، وسمح بأداء صلاة الجمعه والأعياد التى كانت موقوفة ، وقرا الخطبة باسم الخليفة ، وابعد اسماء السلاطين الذين لم ياذن لهم الخلفاء العباسيون بالسلطنة من الخطبة ، وامر ان يكتبوا اسم الخليفة مطرزا على الملابس الذهبيــة وشرفات العمارات ، وبعد مجيء حاجي سعيد صرصرى كتب السلطان رسالة وارسل رجب برقعى الى الخليفة بصحبة حاجى ومعه جوهر نفيس ليس فى الخزانة مثله وتحف وهدايا اخرى ، وجعل ملك كبير سرجاندار (٣٨٢) وكان غلاما للسلطان وليس له نظير في حسن الأخلاق واصابة الراى وكثرة العبادات والشجاعة والبطولة ولم يكن احد مقرب من السلطان اكثر منه ضمن هداياه ، وادخله ضمن أملاك الخليفة ، وأرسل رسالة متضمنة اقرار ملك كبير بعبوديته للخليفة مع حاجى رجب برقعى ولقبه بملك قبول خليفتى ، وبعد سنتين عاد مرة أخرى حاجى ورجب برقمى وشيخ مصرى الى السلطان ، واحضروا منشــور النيابة وخلعه خاصة ولواء أمير المؤمنين ، واستقبلها السلطان وجميع الأمراء والأكابر ، وعندما اقترب ترجل ، ووضع منشور الخليفة على راسه ، ودخل من البوابة الى القصر ، وأمر الأمراء أن يبايعوا منشور الخليفة وكان يضع أمامه دائما المصحف والأحاديث الشريفة ومنشور الخليفة ، ويأخذ البيعة من الناس باسم الخليفة ، وكان كل حكم أو فرمان يصدر من السلطان ينسبه الي الخليفة ، وكان يقول هكذا أمر أمير المؤمنين ، وهكذا حكم ، وسمح لشيخ الشيوخ مصرى بعد فترة بالانصراف ، وانعم عليه بكل أنواع الانعام ، وأرسل أموالا وجواهر كثيرة مع شيخ الشيوخ الى السلطان عن طريق البحر ، ووصلت مناشير الى السلطان مرتين من الخليفة فى بروج وكنبايت (٣٨٣) وكان يقــدم

---

(٣٨٢) ملك كبير نهر جاندار « ١ » ص ٢٠٦ .

(٣٨٣) كناكيت « ١٠ » ص ١٠٧ .

ذى المرتين كل تعظيم وتكريم ، ويبذل الكثير من الهدايا ، وعندما جاء مخدوم زاده بغداد عند السلطان ، استقبله السلطان فى قصبة بالم على مسافة خمسة فراسخ من دهلى ، وأنعم عليه بمائة الف تنكة ومقاطعة وقصر سيرى وجميع انتاج الأرض فى القلعة ، وأحواض وحدائق اخرى، وكلما جاء مخدوم زاده الى السلطان ، ينزل من فوق العرش ويتقدم عدة خطوات ، ويجلسه مكانه على العرش ، ويجلس أمامه بادب تام ، بعد أن نال السلطان محمد منشور الخليفة العباسى اعتقد انه أهل للسلطنة، وشرع من جديد فى أمر أولى النعمة ، وعاد واستقر فى سركدوارى ، وسلك طريق التعمير وتكثير الزراعة ، واخترع فى هذا المجال عدة طرق فى مجال زيادة الزراعة كانت تلعب فى رأسه ، ولم ييأس ، وأنشأ ديوانا مستقلا فى هذا المجال ، أسموه « ديوان أميركوى » ولكن لم يتقدم مطلقا بهذه الأساليب ، ولم يحقق نتيجة ، من جملة أحكامه أنه كان يخط دائرة حول ثلاثين فرسخا وقرر أن كل أرض تقع فى هذه المساحة اذا لم تكن مزروعة تزرع ، واذا كانت مزروعة ، تنتقل من الجنس الأدنى الى الأعلى ، وعهد بهذا الأمر لمائة « شقدار » (٣٨٤) كان بعضهم قد جاء مضطرا من الجوع والبعض الآخر لم ينظر فى عاقبة أمره بسبب حرصه وطمعه ، وتكفلوا بزراعتها ، ونالوا مبالغ كثيرة على هيئة تقاوى وانعامات ، وكانوا ينفقونهـــا فى حوائجهم الضرورية ، وانتظروا العقاب ، وصرف فى هذه المدة وهى سنتين عدة مئات الألوف من التنكة من الخزانة كنفقات لهذا الأمر ، وعندما عــاد السلطان من مهمة تهته لم يدع أحدا من المهتمين والمتكفلين بهذا الأمر حيا •

وأمر آخر كان قد اقدم عليه السلطان محمد فى سركدوارى ، وهو أنه كان قد عين عمالا وولاة جدد وعزل القدامى ، وعندما عرضوا على السلطان أن ولاية مرهت وديوكير قد خربت بسبب ظلم وتعدى عمال قتلقخان ، وأن محصولها وصل أقل من العشر ، فاقر السلطان لولاية مرهت ثمانين مليونا وقسمها أربعة اقسام ، وعين اربعة شقدارهم سرور الملك ومخلص الملكويوسف بغرا وعزيز خمار (٣٨٥) وجعــل وزارة ديوكير فى عهدة عماد الملك سرير سلطانى (٣٨٦) ونيابـــة الوزارة بعهدة « دهاراو » الذى كان متكفلا بالتقاوى والأســـاليب

---

(٣٨٤) حاكم ناحية •

(٣٨٥) يوسف نفيرا وعزيز خمار « أ » ص ١٠٧ •

(٣٨٦) سرتير سلطانى « أ » ص ١٠٧ •

السلطانية ، واستدعى قتلقخان بخيله وأتباعه من ديوكير ، واستاء الأهالى فى ديوكير من خروج قتلقخان ، ولما كان عقاب السلطان قد لحق بالنواحى فان اهالى ديوكير كانوا فى حماية قتلقخان وكانوا راضين ومسرورين من حسن سلوكه ، وامر مولانا نظام الدين الذى كان فى بروج أن يتوجه الى ديوكير ، وعهد اليه بترتيب الأمور واصلاح المعاملات هناك حتى يصل عمال ديوكير اليها ، ولما لم يكن من الممكن احضار الخزانة التى كان قد جمعها قتلقخان هناك الى دهلى خوفا من الطريق ، امر أن يدعوها فى دهاراكروهى قلعة حصينة وعبارة عن حصن قلعة دولت آباد ، وبعد أنجاء قتلقخان الى دهار ، أرسل عزيز خمار وكان من الأرازل الى حكومة مالوه ، وفى وقت الوداع أوصاه بعدة وصايا وقال أثناء هذه الوصايا : اننى أسمع أن كل فتنة تظهر فى هذه الولاية يكون سببها أمراء مائة (٣٨٧) فهم يقرون أرباب الفتنة ويضعون رأس الفساد ، فكل من تعرف أنه شرير ومثير للفتنة اقض عليه فى وقته ، وعندما وصل عزيز خمار الى ولاية دهار ، اهتم بأداء أعمالها ، قبض دون روية زيادة عن ثمانين شخصا من قواد « أمير مائة » وقتلهم ، ولم يفكر فى أن أمراء مائة فى الكجرات والدكن والولايات الأخرى سيخافون ويثيرون أنواع الفتن ، وفى هذا الوقت كان أمير مائة يسمونه « يوزباشى » ، المهم عندما كتب عزيز خمار هذه الواقعة وأرسلها الى السلطان ، سر السلطان ، وأرسل اليه خلعة خاصة ، وفرمان عناية ، وأمر الأمراء أن يكتب كل واحد لعزيز خمار رسالة ثناء ، ويرسلون اليه جوادا وخلعة ، واختص السلطان عزيز خمار هذا وعدة أشخاص من أساقل الزمان بقربه ، ورفع درجتهم أكثر من درجات الأمراء ، ولما كان قد فوض حنا مطرب بجه على ولاية الكجرات والملتان وبداون ، وعهد بديوان الوزارة لابن بستانس من أسافل الناس ، وميز فيروز الحجام ، ومكا الطباخ ولدى البستانى وشيخ بابوومانك جولاهه بجه بقربه ، وأحال اليهم أشغال واقطاعات كبيرة ، وفوض مقبل نام غلام احمد اياز الذى كان أحقر الغلمان صورة ومعنى على وزارة الكجرات ، وكان السلطان محمد يعتقد انه كلما أعطى الأسافل والأرازل اعتبارا ورفع قدرهم من الأرض ، ادركوا اهميتى ولا يخرجون عن جادة الاخلاص ، ولكنه لم يكن يعلم انه لا يمكن مطلقا أن يبدل من طينة السفلة ، ولن يأخذ منهم حق السلطنة ،وكان غافلا عن هذا المضمون :

---

(٣٨٧) امير صده .

« يرفع رؤوس السفلة ، على أمل الحصول منهم على خير »

« رؤوسهم المتمردة تخفي التمرد ، والحية ربيبة في جيوبهم »

وعندما وصل العمل الشنيع لعزيز خمار الى أمـــراء مائة فى الأطراف والجوانب ، تجمع أمراء مائة حيثما كانـــوا ، وانتظروا الفرصة ٠

أثناء هذا كان ملك مقبل نائب الكجرات متوجها بالخزانة والجياد السلطانية الطويلة التي كانت قد جمعها من الكجرات من طريق ديوسى وبروده الى دهلى ، ونهب أمراء مائة الكجرات ، الأموال التى كانت مع ملك مقبل ، وسلبوا أموال وأمتعة التجار الذين كانوا معه أيضا ، وتوجه ملك مقبل الي نهرواله وحيدا ، وغضب السلطان عند سماع هذا الخبر ، وأراد التوجه الي الكجرات وكلما عرض قتلقخان (٣٨٨) أن فتنة أمراء ديوسي وبروده ليست من هذا النوع الذى يتوجه السلطان من أجل دفعه ، لا فائدة ، وينقل ضياء برنى مؤلف تاريخ فيروز شاهى أن قتلقخان قد كتب رسالة بخط يـده الى السلطـان « اننى استطيع تسكين هذه الفتنة بهذا القدر من الجيش الذى أعده السلطان ، لأن تحرك السلطان بنفسه سيكون سببا فى تولد فتن وحوادث أخرى فى أطراف البلاد :

« اذا أشرقت الشمس بدون الملك ، فان كل مكان تسطع عليه يخرب »

ولم يقبل السلطان رسالته ، وأمر أن يعدوا الجيش ، وترك ملك فيروز ابن‌عمه نيابة عنه مع ملك كبير أحمد اياز فى دهلى ، ورحـــل بنفسه من دهلى ، ونزل بقصبة سلطانيور على مسافة خمسة عشر فرسخا من المدينة ، وجمع الجيش ، وهناك وصلت رسالة عزيز خمـار من أنه لما كان أمراء مائة ديوسى وبروده قد أثاروا الفتنة وانا أكثر قربا منهم ، فاننى ساعد جيشا واتوجه لصدهم ، ففـكر السلطان وقـال : ان عزيز لا يعرف طريق القتال وليس بعيدا من أن يقتل ، ووصل الخبر عقب ذلك أنه لما كان عزيز قد قاتل المتمردين فقد اليد والقدم ، ووقع من فوق جواده وأسره المتمردون ، وقتلوه على أسوأ حال ، وتوجه السلطان من سلطانيور ، ويقول ضياء برنى قال لى السلطان عند توجهه الى الكجرات أنه على الرغم من أن الناس كانوا يقولون : ان الفتن تحدث من كثرة تقتيل السلطان ، ومن كلام الناس هذا كنت اترك كثيرا من الفتن دون عقاب ، وقال بعد ذلك انت قارىء للتاريخ وبصير به فأى

---

(٣٨٨) تغلقخان « ١ » ص ١٠٨ ٠

طريقة مناسبة لعقاب السلاطين ؟ فعرضت عليه أنه مذكور في التواريخ الحبرى انه للسلطان الحق فى القتل فى سبع حالات ، اولها : الشخص الذى يرتد عن دين الحق ، وثانيها : (٣٨٩) من يريق الدم البرىء ، وثالثها : من يزنى من الرجال أو النساء المتزوجات ، رابعها : من يفكر فى الغدر بالسلطان ، خامسها : من يثير الفتنـــة ويباشرهـــا ، سادسها : من يوافق أهل البغى من الرعايا ، ويقدم الاسلحة والمدد والمعونة لهم ، وسابعها : هو انه من لا ينقاد لحكم السلطان ، بعد ذلك قال انه فى هذا القتل كم قسما مطابقا للحديث ؟ قلت هناك سبعة اقسام للقتل منها ثلاثة واردة فى الحديث ، وهى الارتداد (٣٩٠) وقتل المسلم والزنا المحصن ، وأربعة أنـــواع أخـــرى تخص الســـلاطين ، قـــال السلطان : انه فى الأزمنة الأولى كان الناس صادقين فى القول والفعل، وفى هذا الزمان العقاب لازم لى بسبب فساد الزمـــان حتى يستقيم الناس ، ويتركون البغى والخلاف ، ويشيع الأمن بيننا ، طالما ليس لدى وزير كامل ينفذ امور الملك بحسن التدبير ولا يحتاج لاراقة الدماء ٠

عندما وصل الى جبل أبهو على حدود الكجرات ، عين أحـــد الأمراء ، وقاتل المتمردين ، وفروا أمامه ، وسلكوا طريق ديوكير ، وجاء السلطان من آبهو الى بهروج ، وارسل ملك قبول نائب وزيـــر المملكة مع امراء مائة بهروج لتعاقب الفارين ، ووصل اليهم ملك قبول على شاطىء نهر نريده ، وقتل اكثرهم ، وقبض على أولادهم وأتباعهم ، وفر البعض أحياء وتوجهوا الى مانديو حاكم جبل سالير موليز (٣٩١) ونهبهم مانديو أيضا ، وأصابهم بالضرر ، وقضى على شرهم تماما فى الكجرات ، وتوقف ملك قبول عدة أيام على شاطىء نهر نريده ، وقتل أيضا اكثر امراء مائه بهروج بأمر السلطان ، ولجـــأ القليلون الذين بقوا بالأطراف ، واقام السلطان فى بهروج فترة ، واستولى على اموال بهروج وكنبايت وسائر بلاد الكجرات التى كانت قد بقيت عند الأهالى ، وادخلها الخزانة ، وقتل الأشخاص الذين كانوا قد دخلوا فى الفتنة جميعا ، وعين زبن بنده الملقب بمجد الدين وابن ركن التانيسرى اللذان كانا من شريدى زمانهما على ديوكير ، ليقبض على أهل الفساد هنـــاك ويقتلهم ، وقد اضطرب وضاق جمهور أهالى هذه البلاد الذين كانوا قد سمعوا أخبار تقتيل السلطان محمد ، وارسل السلطان بعدهـــم الى ديوكير اميرا آخر ، وارسل الى مولانا نظام أخى قتلغخان فرمانا بأن

(٣٨٩) سقطت من نسخة « أ » ص ١٠٠

(٣٩٠) ارتداد « أ » ص ١٠٩ ٠

(٣٩١) سالير موليز « أ » ص ١٠٩ ٠

يعد ألفا وخمسمائة فارس وأن يرسل أمراء مائة المعروفين هنـــاك برفقة هذين الاميرين الى البلاد ، وأرسل مولانا نظام ألفا وخمسمائة فارس حسب أمر السلطان الى البلاط مع أمراء مائة هناك مع هذين الاميرين ، وفى أول مسافة اتفق أمراء مائة والفرسان الآخرون سويا بسبب الخوف الذى تملكهم ، فقتلوا هذين الأميرين ، وحبسوا مولانا نظام ، وقتلوا عماله الذين كانوا يعملون فى ديوكير من قبل السلطان ، ومزقوا ابن ركن الدين تانيرى (٣٩٢) اربا ، واستولوا على الخزانة التى كانت فى دهاراكر ، وأجلسوا ملك مخ أخا ملك مل افغان (٣٦٣) على العرش ، وقسموا الخزانة بين الفرسان والمشاة ، ووزعوا ولايه مرهت على أهل الفتنة ، واتحد أعوان وانصار ملك مخ افغان وأمراء مائة ديولى (٣٩٤) وبروده جميعا فى ديوكير ، واتفق أهالى هذه البلاد مع بعضهم ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر وصل الى ديوكير من بهروج برخيل متواتر ، وجاء أهل الفتنة لمواجهة السلطان ، وتقاتلوا وهزموا ، وقتل أكثرهم ، وتحصن مخ أفغان قائد أهل البغى مع أعوانه وانصاره فى قلعة دهاراكر وفر حسن كانكو وأخوه مخ أفغان ، وذهبوا الى كلبركه ، ونهب العوام والخواص ديوكير وأرسل السلطان محمد عماد الملكسرتيز سلطان (٣٩٥) مع أمراء آخرين الى كلبركه (٣٩٦) ليحكم هذه الولاية ، وأن يقتل كل من يجده من المفسدين الفارين ، وتوجه أكثر المواطنين فى ديوكير برفقة نوروزكركن (٣٩٧) الى دهلى ، وكتب رسالة فتح لكى يقرأوها فى دهلى على المنبر ودقوا طبول الفرح ، واهتم بتنظيم أمور ديوكير ومرهت ، ولم يكد ينتهى من مهام هذه الولاية حتى وصل الخبر أن طغى ابن الحرام ، وكان غلام السلطان ، واشتهـــر بالصفدرى ولشكر كشنى ، ودمغ ناصيته بخاتم الطغيان ، ورفع لواء المعارضة ، واتفق أمراء مائة وزمينداران الكجرات معه ، ودخل نهرواله ، وقتل ملك مظفر نائب الشيخ معز الدين ، وقبض على الشيخ معز الدين مع عماله الآخرين ، وحبسهم ، وتوجه من هناك الى كنبايت بجيش جرار ، وانتهبها ، وتوجه من هناك الى بهروج ، وبالفعـــل حاصر قلعتها ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، ترك خداوندزاده قـــوام

---

(٣٩٢) تانيرى « ١ » ص ١٠٩ .

(٣٩٣) ملك ملا افغان « ١ » ص ١٠٩ .

(٣٩٤) ديوى « ١ » ص ١٠٩ .

(٣٩٥) سرير سلطانى « ك » ص ٢١٤ . سريسو « ١ » ص ١٠٩ .

(٣٩٦) كلبرك « ١ » ص ١٠٩ .

(٣٩٧) كوكن « ١ » ص ١٠٩ .

الدين وملك جوهر والشيخ برهان بلارامى (٣٩٨) وظهير الجيوش مع جيش كبير فى ديوكير ، وتوجه مسرعا الى جانب بهروج ، واخذ معه كل من كان قد بقى من سكان ديوكير وعندما وصل الى بهروج ، نزل على شاطىء نهرنيبده ، وترك طغى بهروج ، وتوجه الى كنبايت ، وعين السلطان ملك يوسف بغرا بجيش جرار لتعقبه ، وعندما وصل ملك يوسف الى كنبايت قابله طغى ، وقاتله ، وقتل ملك يوسف بغرا مع عدد من المعارف فى هذه الحرب ، وفر رجال جيشه ، وجاءوا الى السلطان فى بهروج ، وقتل (٣٩٩) الشيخ معز الدين والعمال الآخرين الذين كانوا فى حبس طغى ، عبر السلطان نهر نربده فى ساعته ، وتوجه الى كنبايت ، وفر طغى من كنبايت وتوجه الى أساول ، وعندما اقترب السلطان من أساول فر الى نهرواله ، وتوقف السلطان فى أساول لمدة شهر بسبب هطول الأمطار ، وأثناء ذلك وصل الخبر أن طغى يتوجه مع جيشه من نهرواله الى أساول ، ونزل فى كرى ، وتوجه السلطان أثناء الأمطار من أساول ، ووصل الى كرى ، وعندما رأى طغى وجيشه أن جيش السلطان قد وصل ، شربوا الخمر جميعا وهجموا على جيش السلطان الخاص على عادة الفدائية ، ولما كانت الأفيال واقفة كما هى حوله ، لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا ، واضطروا العودة ، ودخلوا بين الأشجار الكثيفة التى كانت قريبة فيها ، وتوجهوا من هناك الى نهرواله ، وقبضوا على خمسمائة نفر أحياء من أهل الفتنة الذين كانوا فى عقب جيش طغى ، وقتلوهم ، وارسل السلطان محمد ابن ملك يوسف بغراخان بجيش جرار لتعقبهم فى نهرواله ، وتوقف ابن ملك يوسف فى الطريق عندما حل الليل ، فأخرج طغى أهله وعياله والمتمردين الآخرين من نهرواله ، وعبر من نهر رن ، وتوجه بجانب كنت من ولاية كجه ، وظل هناك عدة أيام ، وفر الى تهته ، وجاء السلطان بعد ثلاثة أيام الى نهرواله ، ونزل على شاطىء حوض سبهلنك (٤٠٠) ، وانشغل بحكم ولاية الكجرات ، وجاء المقدمون (٤٠١) ورايان الكجرات من كل ناحية ، وقدموا الهدايا ، ونالوا الانعام والاكرام ، وبسعى واهتمام السلطان أعاد اصلاح أمر الكجرات ، وانفصل عدة أشخاص مشهورين من جيش طغى ، ولجــأوا لرانا سيرى (٤٠٢) وقتلهم رانه مندل ، وارسل رؤوسهم الى السلطان .

---

(٣٩٨) بلا رانى « ا » ص ١١٠ .

(٣٩٩) طغى .

(٤٠٠) سبهسلنك « ا » ص ١١٠ .

(٤٠١) رؤساء القرى .

(٤٠٢) رانه مندل سيرى « ك » ص ٢٢١ .

لم يكد ينتهي السلطان من تنظيم ولاية الكجرات ، حتى وصل الخبر أن حسن كانكو والمتمردين الذين كانوا قد هزموا من قبل فى ديوكير وتفرقوا ، قد اتحدوا وقتلوا عماد الملك سرتيز (٤٠٣) سلطانى، وفرقوا جيشه ، وتوجه خداوند زاده قوام الدين وملك جوهر وظهير الجيوش من ديوكير الى دهاركر ، ودخل حسن كانكو ديوكير ، وأخذ « جتر » وجلس على العرش ، ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، والتحق به أيضا حراس قلعة دهاراكر ، وقامت فتنة كبيرة ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، صار متحيرا ومهموما ، وبعد تأمل واف أدرك أن كل هذه الفتن التى قامت اثر بعضها من كثرة قتله ، وكف عدة أيام فى نهرواله عن القتل عامة :

« عندما تتلطف ، يصبح الخصم شجاعا ، واذا قسوت ينفرون منك »

« القسوة واللطف رقعة واحدة ، مثل نبض المرأة ليس له جراح ولا مرهم »

فى ذلك الوقت استدعى السلطان ملك فيروز وأحمد ايازوملك غزنين قتليعه وصدرجهان بجيوشهما من دهلى ، ليرسلهما لمهاجمة حسن كانكو ووصلا اليه بجيوشهما ، وعندما وصل الخبر أن حسن كانكو قد جمع جيشا لا حصر له توقف السلطان عن ارسالهما ، واستهدف من ذلك أنه من الأهم أن يريح خاطره من أمر الكجرات وتسخير كرنال وهى الآن تشتهر بجوندكر وسوف يقوم بنفسه بدفع حسن كانكو ، وبناء على ذلك قضى سنتين فى الكجرات ، فى السنة الأولى كان مشغولا بتنظيم الولاية وأعداد الجيش ، والسنة الثانية اهتم بتسخير قلعة جوندكر (٤٠٤) واستولى على قلعة كرنال وتوابعها ، وأطاعه المقدمون ورايان هذه النواحى جميعا ، وجاءوا لخدمته ، ووصل كنكار راجه ولاية كجه أيضا الى السلطان .

يقول ضياء برنى : « ان السلطان قال لى فى هذا الحال : ان مملكتى أصابتها أمراض متضادة اذا عالجت احداها ، غلب عليها مرض آخر ، وطالما أنت قارئ ومطلع على كتب التاريخ ما هو العلاج الذى تراه فى هذا المجال ؟ قلت : لقد كنت أرى أنه عندما ينفر الناس من السلاطين وتهب الفتن ، يجلسون ابنا أو أخا جديرا بالسلطنة محلهم ، ويتوارون فى ناحية والبعض كان يعالج هذا المرض بترك الأعمال التى تسبب النفور العام » ، فأجابه السلطان : ليس لدى على

(٤٠٣) سرتير « ١ » ص ٢١٠ .

(٤٠٤) جونه كر « ١ » ص ٢١١ .

هذا النحو ابن أو خلف يستطيع أن يحل محلي ، وقد تركت سياسة العقاب ، لعل لا يحدث شيء .

مرض السلطان في كوندل على مسافة خمس عشرة فرسخا من كرنال ، وقبل أن يأتي الى كوندل كان ملك كبير قد توفى فى دهلى فأرسل أحمد اياز وملك قبول نائب وزير الممالك الى دهلى واستدعى خداوند زاده ومخدوم زاده ، ومعارف آخرين من دهلى الى كوندل ، وعندما وصلوا الى كوندل ووصل جميع أزواجهم وأهاليهم ، وتجمع حول السلطان جمع كبير ، نظم الجيوش ، وتحسنت صحته ، وطلب بعد ذلك السفن من ديبالبور والملتان وأجه وسيوستان (٤٠٥) الى تهته ، وتوجه من كوندل ، ووصل الي شاطيء النهر ، وعبر النهر بالجيش والأفيال ، ونزل علي الشاطيء الآخر ، وأثناء ذلك التحق بالسلطان التون بهادر بخمسة آلاف فارس مغولي ، وكان قد جاء من قبل الأمير قزغن (٤٠٦) وانعم عليه السلطان وعلى جيشه بأنواع الانعام والاكرام ، وتوجه من هناك لاستئصال طائفة « سومره » وطغى ابن الحرام الذى كان قد لجأ اليهم بجانب تهته ، وعندما وصل لمسافة ثلاثين فرسخا من تهته ، كانت يوم عاشوراء (٤٠٧) وكان صائما ووقت الافطار اكل سمكا فعاوده مرض الحمى الذى أصابه من قبل ، وعلى الرغم من ذلك ركب السفينة ونزل على مسافة أربعة عشر فرسخا من تهته ، وتوقف هناك لشدة المرض ، واشتد المرض يوما بعد يوم حتى توفى فى الحادى والعشرين من المحرم سنة ٧٥٢ هـ ، وكانت مدة سلطنته سبعا وعشرين سنة ، وكتب ضياء برنى هذه المرثية فى تاريخه :

« لشراب العالم سم ناقع ، ولبذره آدم فاكهة مسمومة »
« فيا نديم العدم خفف الوطء ، فهذا العالم قليل من قليل »
« تنفس صبح المحشر ، ونحن نيام ، فأطلق الصيحة للنائمين »
« ها هم فرشوا فرش الصبا ، وجعلوا هذا البساط سعيدا »
« انها القيامة ـ قم وافتح ، سقف الديوان وسقف السماء »
« توارى شه محمد فى قلب الثرى ، فلتلبس الرمادي لباس المأتم »
« فانهش كثيرا فى جسد الدهر ، ومزق هذا اللباس المزخرف »

---

(٤٠٥) سويستان « أ » ص ١١١ .
(٤٠٦) قرغن « أ » ص ١١٢ .
(٤٠٧) عاشورة « أ » ص ١١٣ .

ذكر السلطان فيروز شـاه :

هو ابن أخى السلطان غياث الدين تغلقشاه ، وعندما اشتد المرض على السلطان محمد تغلقشاه فى جيش سويستان ، وعند الارتحال قام ملك فيروز نائب وكان ابن عم السلطان ، وكان السلطان يعتبره أحـــق بولاية العهد ، قام بالعمل على معالجة السلطان ، ونال بهذا شفقة وعناية السلطان ، وعندما رأى السلطان تألمه عليه ، أوصى له بولاية العهد ، وقال :

لتكن أهلا للسلطنة ، لأننى سحبت الوسادة من تحت راسى »

وعندما توفى فى نواحى تهته ، حدث تأثر كبير يزيد عن الوصف فى الجيش ، ورأى ملك فيروز باربك أن العلاج هو أن يفصل بلطائف الحيل عن الجيش أولا التون بهادر مع الثلاثة ألف فارس مغولى الذين كان قد أرسلهم لمساعدة السلطان محمد الأمير قزغن ، ليأمن من شرهم ، وبعد ذلك أنعم على الأمراء المشاهير وسائر الفرسان الانعامات والخلع واللباس كل حسب حالته ، وسمح لهم بالعودة الى ملكهم ، وأمر أن ينفصلوا عن الجيش فى الحال ويبتعدوا أكثر ، وفى أثناء هذا الحـــال لم يكن قد مر يومان على وفاة السلطان ، كان رجال الجيش مضطربين من هول النهب والسلب ، فأشار نوروز كركين ، وهو صهر برمة شيرين زبيب السلطـــان محمد ، الخلاف ، واتفق مع المغول على أنه فى وقت الرحيل وبما لديهم من قدرة حيث يكون الجيش فى ارتباك واضطراب ينطلقون فى النهب، ويأسرون وينهبون ، وفى هذا اليوم ضاع كثير من الأموال وزوجات الرجال بيد المغول ومفسدى تهته ، وقضى رجال الجيش هذا اليوم فى خوف وفزع لا حدود له ، وفى اليوم التالى رحلوا باحتياط كامل وبترتيب الجيوش ، وفى هذا اليوم أيضا أغار المغـــول ومفسدو تهته ، حتى وصل الجيش الى شاطىء النهر ونزل ، ولما كـــان القطيع بلا راع مما سبب الموت والتلف ، اجتمع مخدوم زاده عباس والشيخ نصير الدين محمد أودهى المشهور بمصباح دهلى وهو خليفة الشيخ نظام الدين أوليا ، والعلماء والمشايخ والمـــلوك والأمـــراء ، واستدعوا ملك فيروز باربك الجلوس على العرش :

« قبل الجيش كله الأرض ، لأن المــــلك وطـــأ العرش »

« وأينما يضع قدمه نضع رؤوسنا ، ونضع فرمانه على راسنا تاجا »

« لو جعـــل الماء والنار مكانا لنا ، ما تراجعنا عن رأينا فى أمـــره »